القطا في الشعر الجاهلي

د. أحمد عبد الرحمن النُنيبات *

الملخص

تعمل الدراسة على استجلاء طبيعة العلاقة القائمة بين العربي وطائر القطا في العصر الجاهلي، وتتبع مواقع الالتقاء، عند مصادر المياه أو في الصحراء عند إثارتها من مفاحصها، وذلك من خلال الأشعار الدالة، فجاءت الدراسة في محورين؛ يدرس الأول ظهور القطا في أحداث الحياة اليومية، ويتناول المحور الثاني دخول القطا في تشكيل الصورة الشعرية القائمة على التشبيه.

قسم اللغة العربية وآدابها/كلية الآداب جامعة الطفيلة التقنية الأردن

Grouse Birds in Pre- Islamic Poetry

Ahmed Abd Elrhman

Abstract

This paper reveals the nature of relation between the Arabs and the sand bird, the grouse, as mentioned in the poetry of pre-Islam period. The study discusses the relation of the bird with an Arabian from different sides: meeting at water springs, in the desert where the birds are scared and dispersed from their perches while roosting, through the poetry where these birds are mentioned.

The study is divided into two parts: the first discusses the appearance of these birds in the daily-life of the Arabs, the second deals with the poetic image the bird makes especially comparison simile, metaphor and allegory.

المقدِّمة:

يسعى هذا البحث إلى دراسة ورود القطا في الشعر الجاهلي ويرى الباحث أنه شكَّل ظاهرة تستحق الدِّراسة، ولا يدَّعي فضل الريادة؛ لأن عدداً من الباحثين([1]) قد عالجوا هذه المسألة، وإذا استثنيت بعض تلك الدراسات ([2]) فإنّ معضمها قد جاء مبتسراً، وجاء بعضها في الأدب العربي في مختلف العصور، وقد فارقت هذه الدراسة سابقاتها في تخصصها وشموليتها، وتتبع الظاهرة في كل ما وقع عليه الباحث من الشعر الجاهلي المطبوع، ولذا تناولت الظاهرة في محورين: يدرس المحور الأول تعالق القطا مع حياة العرب، فقد خالطهم المرعى في نهارهم، وأفزعته ركابهم ليلاً، فسبق العرب لمصادر المياه أو سبقوه، وأطربهم صوته فاشتقوا منه اسماً له، وقفوا أمام بيوضه؛ فصوَّروها شعراً، ثمَّ كانت فراخاً، حمر الحواصل، جاثمة في الأفاحيص، يُنقل إليها رزقها من غذاءٍ، وماءٍ في حواصل الأمَّهات، تقطع في سبيل ذلك الفلوات البعيدة.

كل ذلك الحضور للقطاة في أذهان العرب، دفعهم لتفحُّص شياتها وأعضائها وما اتَّسمت به من صفات كالصدق والهداية، والإفاقة المبكِّرة، فضربوا في ذلك المثل، وأطلقوا اسمها على بعض الأماكن والمياه، ثمَّ إنَّهم وثَّقوا ذلك في أشعارهم.

أمَّا المحور الثاني، فيتناول الصور التشبيهية للقطا في الشِّعر، ويظهر هذا المحور عدداً من الصُّور، جاء أكثرها حضوراً، في ثلاثة مواضيع، هي: الخيل، ومنه ظهرت تشبيهات للخيل في أوضاعها المتباينة في حالة الاجتماع والتفرُّق والسُّرعة، والموضوع الثاني يتناول تشبيه الإبل بالقطا في سرعتها ومناخها، حيث أثر الثفنات تقابل بأفاحيص القطا، ثمَّ الموضوع الثالث والذي تشبه فيه المحبوبة بالقطاة في مشيتها، متقاربة الخطو في دلٍّ وقرمطة.

وهنالك عدد من التشبيهات المتفرِّقة التي شملتها الدراسة، جاءت القطا في بعضها مشبَّهاً وفي بعضها الآخر مشبَّها به، وفي النهاية جاءت الخاتمة تلخِّص ما توصَّلت إليه الدراسة من نتائج. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تتبُّع الصور المختلفة في الشعر الجاهلي.

1- القطا في حياة العرب:

تنبَّه العرب لما يشاركهم الصحراء من حيوان وطير، والقطا أحد تلك الطُّيور التي لفتت انتباه الجاهلي، فقد شاركته مورد الماء، وقطع تلك المفازات في ضحى رمضائها، وأفزعتها ركابهم من مجاثمها في غياهب الليل.

ويخيَّل للدَّارس أنَّ العربي وقف قبالة هذا الطائر يرقبه، مستمعاً لصوته حين

يصوِّت، ويتبعه في أفاحيصه، فيقلب الطرف في بيوضه وفراخه، يصوِّره شعراً ويضرب به المثل.

فقد تنبَّه لاختلاط صوت القطا في تلك الصحراء السَّاكنة، حيث يقترب منه:

كَأنَّ قطا العينِ الذي خَلْفَ ضارجٍ جِلابُ لغاً أصواتُها حينَ تَقْرُبُ[3]

ويحتلُّ هذا الصوت مكانة في ذاكرة العربي، إذ يشيع روح الحياة في الأرض الموات، ويُذكِّر بالخير والنَّماء، وانتعاش الصحراء حين ينبعث نباتها، ويداعب المطرُ رمالها:

وإنِّي أُحِبُّ الرَّمْثَ مِنْ أرْضِ عاقِلٍ وَصَوتَ القطا في الطَّلِّ والمَطَرِ الضَرْبِ[4]

ويصف كعب بن زهير صوت القطا بالرطانة:

متى ما تَشَأْ تَسْمَعْ إذا ما هَبَطْتَهُ تراطُنَ سِرْبٍ مَغْرِبَ الشَّمْسِ نازِلِ[5]

وفي موقع آخر يخصّ الفراخ من القطا بهذه الرطانة، وهي صوت أعجمي يقرأ الصحف، يقول:

يَسْقِينَ طُلْساً خَفِيَّاتٍ تراطُنُها كَما تَراطَنُ عُجْمٌ تَقْرَأُ الصُّحُفا[6]

ومثل هذه الصورة تتكرَّر عند شتيم بن خويلد، إلاّ أنَّ المشبَّه به يأتي صوت القلم الذي يكتب به الأعجمي في الكتاب، وليس صوته نفسه:

سَمِعْتُ أَصْوَاتَ كُدْرِيِّ الفراخِ بِهِ مِثْلَ الأعاجِمِ تُغْشِي المُهْرَقَ القَلَما[7]

وابن مقبل يختار مشبَّهاً به آخر، لصوت القطا، إنَّه صوت حادي القوم، عندما يحدو لهم في المسير، يقول:

في ظَهْرِ مَرْتٍ عساقيلُ السَّرابِ بِهِ كَأنَّ وَغْرَ قطاهُ وَغْرَ حادِينَا[8]

أمَّا عند الشنفرى، فاختلاط أصوات القطا، صوت أقوام على الماء مختلطين:

كأنَّ وَغاها حَجْرَتَيْهِ وحَوْلَهُ أضاميمُ مِنْ سَفْرِ القَبائِلِ نُزَّلُ[9]

ويلحظ الدَّارس أنَّ صوت الرطانةِ في الشواهد السابقة[10] خصَّ به الشعراء الفراخ دون القطا، ولعلَّ ذلك يعود لعدم وضوح صوت الفراخ، وعدم إفصاحه؛ فصوَّروه برطانة الأعجمي، في حين أدرك العرب صوت القطا، واشتقُّوا منه اسماً لها.

ويقرِّبنا هذا من تناولهم لصغار القطا، فهي طلس، غبراء اللَّون، جانحة في الأفاحيص كالشجيرات الصغيرة، لا تكاد تُستبان:

يَسْقينَ طُلْساً خَفِيَّاتٍ تراطُنُها ... كما تراطَنُ عُجْمٌ تَقْرأُ الصُّحُفا
جَوانِحُ كالأفاني في أفاحِصِها ... يَنْظُرْنَ خَلْفَ روايا تَسْتَقِي نُطَفا[11]

ويبدو أن الخط الواصل بين القطا وصغارها – عند الشعراء – هو ذلك الواجب الذي تتكفل به القطاة، فيدفعها للتبكير في ورود الماء، ثم اللقاء مع الإنسان ،إذ تجلب الماء لسقاية الصغار في أفاحيصها ،ثم إن الشاعر لم يتوقف عند وصف هذه العملية، بل ذهب إلى وصف هذه الصغار؛ فحواصلها خالية من الزغب، حمراء، والشعف يعلو حواجبها :

حُمْرٌ حواصلُها كالمُغْرِ قدْ كُسِيَتْ ... فَوْق الحواجِب مِما سَبَّدَتْ شَعَفا[12]

وقوله أيضاً:

رَوايا فِراخٍ بالفلاةِ توائِمٌ ... تَحَطَّمَ عَنْها البَيْضُ حُمْرُ الحواصِلِ
توائِمُ أشْباهٍ بِغَيْرِ علامَةٍ ... وُضِعْنَ بمَجْهولٍ مِنَ الأرْضِ خَامِلِ[13]

ويشارك الحطيئة كعباً في وصفها بحمر الحواصل، وهي عاجزة عن النُّهوض:

لِزُغْبٍ كأوْلادِ القطا راثَ خَلْفَها ... على عاجِزَاتِ النهضِ حُمْرٌ حواصِلُهْ[14]

أمَّا تشبيه الفراخ بالشجيرات الصغيرة، فقد ورد عند زهير بن أبي سلمى، في قوله:

أفاحيصُ القَطَا نُسُقٌ عليهِ ... كأنَّ فراخَها فيه الأفاني[15]

وفي موقع آخر يشبِّهها بجنى الحنظل، الذي نبت واستوى في مكان زبيل:

بها مِنْ فراخِ الكُدْرِ زُغبٌ كَأنَّها ... جَنى حَنْظَلٍ في مِحْصَنٍ مُتَفَلِّقِ[16]

وفي حديث النَّاقة يشبِّه حميد بن ثور ناقته بقطاة تسقي فراخها، ولئلاَّ يطول الاستشهاد، نكتفي بإيراد الأبيات التي يذكر فيها الفراخ:

إذا وَجَّهَتْ وَجْهــاً أنابَــتْ مُدِلَّــةً كذاتِ الهــوى بالمِشَــفَرَيْنِ لعــوبُ
كما انْقَبَضَتْ كَدْراءُ تسقي فِراخهــا بشــمطةٍ رِقْهــاً والميــاهُ شــعوبُ
فجاءَتْ وَمِسْقاها الذي وَرَدَتْ بــهِ إلى الزَّوْرِ مَشْــدودُ الوَثــاقِ كَتيــبُ
تُغيثُ بهِ زُغْبــاً مســاكينَ دونَهــا مَلاً ما تَخَطَّــاهُ العيــونُ زغيــبُ[17]

ويستحسن ابن قتيبة تشبيه حميد هذا لفرخ القطا في قوله:

كأنَّ على أَشْدَاقِهِ نَــوْرَ حَنْــوَةٍ إذا هُوَ مَدَّ الجيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمــا[18]

وربَّما أحالنا حديث الفراخ إلى المرحلة السابقة عليه، عندما تكون بيضاً، يقول القلقشندي: "وأكثر ما يبيض ثلاث بيضاتٍ"[19]، ويذكر الجاحظ أنَّ "فــي القطــا أعجوبة، وذلك أنَّها لا تبيض بيضها أبداً إلاَّ أفراداً، ولا يكون بيضها أزواجاً أبداً، وقال أبو وجزة السعدي:

ما زِلْنَ يَنْسِبنَ وَهناً كُــلَّ صــادِقَةٍ باتَــتْ تباشِــرُ عُرْمــاً غيــرَ أزواج

والعرم: بيض القطا لأنَّها منقطة"[20]. ويذكر الميداني، بعد التعليق على بيت السعدي السَّابق قوله: "وجعل البيض غير أزواج لأنَّ بيض القطا يكون أفراداً؛ ثلاثاً أو خمساً"[21].

وممَّا ورد في الشِّعر الجاهلي قول خفاف بن ندبة:

وَمُعبَّــدٍ بَــيْضُ القَطــا بجنوبِــهِ وَمِــنَ النَّــواعِجِ رِمَّــةٌ وَصَــلِيبُ[22]

قد يفيد ذكر البيض هنا، الإشارة إلى مكانٍ بعينه، ولكنَّه في الوقت ذاته يــدلُّ على الحضور في أذهانهم، ودخوله في تشكيل أشعارهم، وتتَّخذ القطاة مفحصــاً لتضع بيضها، وتجثم فيه، وقد خصَّت القطاة بهذا الاسم – لأنَّها لا تتَّخذ عشاً في الأشجار، أو وكراً في الجبال[23]، وإنَّما تكتفي بأن تفتحص بين الحصى مجثماً لها، وكثيراً ما تفزعها رواحل الشُّعراء فتغادر الأفاحيص مضطَّرة، ويفاخر الشعراء بذلك علامة الجسارة والشجاعة في اختراق الصحراء ليلاً، من ذلك بيت عمرو بن شأس الأسدي:

بِناحِيَــةٍ وَجْنَــاءَ تَسْــتَلِبُ القطــا أفاحيصه زُجْري إذا الْتَفَتَتْ حِلِــي[24]

وقد يكون لهذا المفتحص البسيط علاقة بقلَّة نوم القطا، وقد عرف القطا بذلك، يقول امرؤ القيس:

وَلَوْ أنَّ نَوْمــاً يُشْــتَرى لاشْــتَرَيْتُهُ قليلاً كَتَغْميضِ القَطا حَيْثُ عَرَّســا[25]

وقد ترتبط قلّة النوم، بما عُرف عن القطا من حذرٍ ونباهة، حتى ضرب في خفق فؤاده المثل، فقالوا: "بأمثال القطا فؤاده"[26]. وربَّما تنبَّه العرب لهذه الصِّفة، فالقطا يُثار لأدنى حركة تقرب منه، فاتَّخذوا من طيرانه ليلاً إشارة على قدوم عدوٍ أو طارق ليل، تقول شاعرتهم:

كما قالتْ فتاةُ الحَيِّ لمَّا ... أحَسَّ جَنانُها جَيْشاً لُهاما
لِوالِدِها وأرأتْهُ بِلَيْلٍ ... قطاً ولَقَلَّ ما تَسْري ظَلاما
ألسْتَ تَرى القطا مُتَواتِراتٍ ... ولَوْ تُرِكَ القَطا أغفى ونَاما[27]

وليس أكثر دلالة على حضور القطا في أذهان العرب من تسميتهم بعض الأماكن بأسماء القطا، ولعلَّ أكثر هذه الأسماء شهرة ما أطلقوا عليه اسم (روض القطا)، وأكثر ما تكرَّر هذا الاسم عند الأعشى ، في مثل قوله:

تَرْتَعي السَّفْحَ فالْكَثيبَ فذا قا ... رٍ فَرَوْضَ القطا فَذاتَ الرئالِ[28]

ويرد هذا الاسم أيضاً في شعر المخبل السَّعدي، في قوله:

فَرَوْضُ القطا بَعْدَ التساكُنِ حِقْبَةً ... فَبِلْوٌ عَفَتْ باحاتُهُ فَمَسايِلُهْ[29]

ونجد مثل ذلك عند عَبيد بن الأبرص في قوله:

رَوْضُ القطا مِنْ جنوبِ السَّدْرِ مِنْ خِيَمٍ ... فالمُحْتَبي فأجازوا الدَّوَّ أوْ هبطوا[30]

وربَّما جاء اسم المكان بصيغة الجمع – رياض– كقول الحادرة:

فَرِياضُ القطا فَأَوْدِيَةُ الشَّرَ ... بَّةِ فالشُّعْبَتانِ فالأبْلاءُ[31]

وكذلك يرد هذا الاسم في شعر ابن الخطيم، حيث يقول:

فما رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ القطا ... كَأنَّ المَصابيحَ حَوْذانُها[32]

وقد يحدث التحوير في الجزء الثاني من الاسم، حيث تجمع القطا على قطيات، ومثل ذلك في شعر الحارث بن عمرو:

فَحَزْمَ قُطَيَّاتٍ إذّ البالُ صالِحٌ ... فَكَبْشَةَ مَعْروفٍ فَغولاً فَقادِما[33]

ويفرد امرؤ القيس الاسم من مضافه، فيذكره مباشرة:

أسالَ قُطَيَّاتٍ فَسالَ اللَّوى لَه ... فوادي البَرِيِّ فانْتَحى لأريضِ[34]

ومن خلال خبرة العرب في هذا الطائر؛ وصفوه ببعض السمات التي عرف

بها ، ومن أهمّها:

1-1 الصِّدق:

وذلك لاشتقاقهم له اسماً من الصَّوت الذي يُصدره، يقول الجاحظ: "... والقطاة لم ترد اسم نفسها، ولكنَّ النَّاس سمُّوها بالحروف التي خرجت من فمها. وزاد في ذلك أنَّها على أبنية كلام العرب، فجعلوها صادقة ومخبرة ومريدة"[35]. ولمَّا كانت هذه المطابقة بين الاسم والصَّوت، فقد ضربوا فيها المثل لمن أرادوا وصفه بالصِّدق "لأنَّ لها صوتاً واحداً لا تغيِّره، وصوتها حكاية لاسمها، تقول: قطا قطا، ولذلك تسمِّيها العرب الصَّدوق، فقالوا: أصدق من قطاة"[36]، و "أنسب من قطاة"[37]، وفي هذا المعنى قال شاعرهم:

ما زلْنَ يَنْسِبْنَ وَهْناً كُلَّ صادِقةٍ باتت تُباشِرُ عُرْماً غَيْرَ أزواجِ[38]

وعند النابغة يأتي الاسم مباشرة للقطا، وهي تدعو به، وإليه تنتسب:

تَدْعو القطا وبهِ تُدْعى إذا انْتَسَبَتْ يا صِدْقَها حينَ تَلْقاها فَتَنْتَسِبُ[39]

ومثل ذلك عند كعب بن زهير، الذي حصر قولها بالصِّدق:

بحافتِهِ مَنْ لا يَصيحُ بمَنْ سَرَى وَلا يَدَّعِي إلاَّ بما هُوَ صادِقُهْ[40]

1-2 الهداية:

وكما وُصِفَ القطا بالصِّدق، فإنَّه وُصِفَ كذلك بالهداية، وضرب العرب في ذلك المثل، فقالوا: "أهدى من قطاة"[41]. ولعلَّ ذلك عائدٌ لطبيعة النمط الميعشي، الذي تسلكه القطاة في حياتها، فهي من طير الصحراء، وفي الوقت نفسه من أشد الطيور طلباً للماء؛ وإذْ ذاك حالها؛ فلا بُدَّ أن تكون الهداية من غرائزها، لتوفّق بين الصحراء الممتدَّة بلا معالم، وبين مواقع المياه النادرة الوجود، وقد جعلها صاحب صبح الأعشى من الدِّقة والهداية، بحيث تأتي أفاحيصها ليلاً ونهاراً فلا تضل عنها[42].

وممَّا عرف عن الشعر ابتعاده عن المباشرة في تقديم الفكرة أو تصوير الرؤية، كما أنَّ هدف الشعراء لم يكن تصوير قدرة القطا على الاهتداء، بمقدار ما يرمون إليه من تصوير قدرتهم على اقتحام المصاعب، واختراق الصحراء، على ما يتطلَّب ذلك من شجاعة ورباطة جأش، ولهذا نجدهم يجعلون القطا يحار في تلك القفار؛ ليكون المعنى أبلغ في أُفق التلقّي، متَّكئين في ذلك على ما استقرَّ في ذهن العربي من قدرة القطاة على الاهتداء والوصول لهدفها، هذا النمط التعبيري معهود عند الشعراء في تصويرهم الأعداء بالبطولة والشجاعة، وإلاَّ لما كانت انتصاراتهم

ذات قيمة، وعند حديثهم عن الصحراء "جعلوا المفازة واسعة يحار بها القطا ويضل مع أنَّه أهدى الطير"[43]، من ذلك قول النابغة الجعدي:

وَخَرْقٍ مَرَوْراةٍ يحارُ بهـا القطـا تـردد فيـه همـه أيـن يـذهبُ
قَطَعْـتُ بهَوْجـاء النجـاء كَأَنَّهـا مهـاةٌ يراعيهـا بحَرْبَـة رَبْـرَبُ[44]

فإنْ جعل الجعدي صحراءه خرق فإنَّه يلتقي عميرة التغلبي بوصفها مروراة جرداء لا شيء فيها، في قوله:

قفارٌ مَرَوْراةٌ يحـارُ بهـا القطـا يَظَـلُّ بهـا السَّـبْعان يعتركـان[45]

وهي عادية عند امرئ القيس، حيث يقول:

عَلَى ظَهْرِ عَاديٍّ يَحارُ بِهِ القطـا إذا سافَهُ العَوْدُ الـدِّيافيُّ جَرْجَـرا[46]

وعلى الرغم من بعض الاختلاف في وصف هذه الصحراء، التي جعلوا القطا يحار بها، إلاَّ أنَّها تصبُّ في بوتقة المعنى؛ فمروراة تعني الأرض أو المفازة التي لا شيء فيها، ووصفها صاحب التهذيب بالأرض التي لا يَهْتَدي بها إلاَّ الخريت، وهو دليل الجيش أو القوم في السَّفر[47]، وقريب من ذلك القفر والتِّيه والداوية.

ولكن ما يدعو للتوقُّف في الشواهد السَّابقة، قولهم: "يحار بها القطا"، حيث جاءت في الشواهد جميعها، وقد نجد لذلك تفسيراً عند بعض المحدثين في معرض حديثهم عن الشعر الجاهلي، بقوله "كان شعراً تقليدياً في جملته، وقد نظمه شعراء أميُّون أو شبه أمِّيِّين، كانوا يقولون على البديهة، ويتَّبعون في نظمه تقاليد شعرية قديمة متوارثة، ولم يكن الواحد يختلف عن غيره في نهج قصيدته وتركيبها، وفيما يعالج من مواضيع، ويصوِّر من مواقف ومشاهد، ويقص من وقائع وأحداث، ويستعمل من أوصاف وصور، ومن تعابير وصيغ، والعناصر الفردية التي نجدها في قصائدهم قليلة جداً بالقياس إلى العناصر العامة المشتركة. وقد لاحظ الرُّواة والنُّقَّاد القدماء أنَّ الشعراء الجاهليين، كان بعضهم يأخذ من بعض، ويتأثَّر بعضهم ببعض تأثُّراً يكاد يكون استنساخاً حتى اتَّهموهم بالسَّرقة"[48]. وإنْ كنَّا لا نتَّفق مع هذا الرأي في بعضهِ؛ فإنَّ ما يهمّنا هنا هو اتِّفاق الشعراء الضمني على وصف هذا الطائر – القطا– بالهداية، ممّا جعلهم يجمعون عليه دون غيره من طير الصحراء وحيوانها ليكون مثالاً يُضرب للتعبير عن فكرة الاهتداء والتي يرمي الشَّاعر إلى وصف نفسه بها، إضافة للشجاعة والجسارة، كما اتَّجه بعضهم إلى وصف القطا بالهداية مباشرة[49].

3-1 الإفاقة المبكِّرة والخروج:

وممَّا اختصَّ به الطير عامة "التبكير في الإفاقة واللغو صباحاً حتى غدا

الإنسان المبكِّر إلى عمله يقاس به"[50]. ولعلَّ ذلك ما دفع الشَّاعر الجاهلي للمفاخرة بالخروج المبكِّر، وتقديم معادلة مغايرة، يجعل خروجه فيها قبل الطير، وقد تكرَّر ذلك عند امرئ القيس في ثلاثة مواقع، يكرِّر فيها شطراً، يقول فيه: "وقد أغتدي والطَّيرُ في وكناتها"[51].

وربَّما كان القطا من أكثر الطيور تبكيراً في الخروج من أفاحيصها، فهي "تخرج من أفاحيصها في طلب الماء عند طلوع الفجر، فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل"[52]. وعندما يرغب الشاعر الجاهلي في التعبير عن نشاطه وفتوَّته، فإنَّه يجعل خروجه قبل خروج القطا من أفاحيصه، يقول عَبيد بن الأبرص:

وَقَدْ أغْتَدِي قَبْلَ الغَطاطِ وَصاحِبي أمينُ الشَّظا رَخْوَ اللِّبان سَبوحِ[53]

أمَّا لبيد، فإنَّه يجعل وروده قبل القطا، وأنَّ خروجه للماء يكون في غلس الليل، قبل أن تذرَّ الشمس إياتها:

فوَرَدْنا قَبْلَ قُرَّاطِ القَطا إنَّ مِنْ وِرْدِيَ تَعْلِيسَ النَّهَلِ[54]

وثمَّة وقتان آخران يلتقي فيهما الشاعر القطا "أثناء رحلة النَّاقة؛ اللَّيل الموحش، والحر اللافح...، ويؤكِّد الشعراء هذين الوقتين موعداً للرحلة ويكثرون من تفاصيلها كثرة لافتة"[55]، ولم يغفل القدماء هذه الظاهرة، فقد فسر ابن قتيبة اختيار هذين الوقتين في معرض حديثه عن المقدِّمة الطلليّة، فقال: "... فرحل في شعره، وشكا النَّصب والسَّهر، وسرى الليل، وحر الهجير، وإنضاء الرَّاحلة والبعير، فإذا علم أنَّه قد أوجب على صاحبه حق الرَّجاء، وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة..."[56]. ولم يبتعد ابن رشيق في عمدته عن هذه المقالة[57]، ولن يتوقَّف الباحث عند تفسير القدماء للظاهرة؛ إذْ ما يهم الدراسة في هذا المقام، هو علاقة هذه الرحلة بظهور القطا، فالشاعر يصف الإبل "وهي تشقّ هذه الصحراء وقت الهاجرة، وعندما يكون القطا جاثماً على الأرض اتّقاء حرارة الشمس اللافحة، مؤكّدين نشاط رواحلهم في هذا الوقت الذي يصعب فيه المسير"[58]. والحقيقة أنَّ راحلة الشاعر في القصيدة معادل موضوعي لذاته، ولعلَّ ذكر طير الصحراء وحيوانها كان بدافع إظهار واقعية الرحلة أو صدقها، ولذا تكرَّرت الفكرة عند الشعراء، يقول لبيد:

سَلَبْتُ بها هَجْراً بيوتَ نعاجِهِ وَرُعْتُ قطاهُ في المبيتِ وقائِلا[59]

وربما كانت الصورة أكثر تكشُّفاً عند حديث الحركة في الليل وإثارة القطا من معرسه، فالأعشى يثير القطا الهواجد، في قوله:

تَبُــزُّ يعــافير الصَّــريم كِناسَــها وَتَبْعَثُ بــالفلا قطاهــا الهواجِــدا[60]

وكذلك يفعل لبيد:

إذا هَجَــدَ القَطــا أفْــزَعْنَ مِنْــهُ أوامِــنَ فــي مُعَرَّسِــهِ الجثــوم[61]

وابن مقبل يثير القطا بليلٍ يصفه بالأقعس:

أمسى بفيحــانٍ فنفَّــرَ مــن قطــا حَوْضَــي تَرَعُّمُــهُ بِلَيْــلٍ أقعِــس[62]

والشمَّاخ يَذْعَرُ القطا قبل أن تنشر الشمس نورها على الرِّياض:

ذَعَرْتُ بها سِرْبَ القطا وهو هاجِدٌ وعَيْنُ الفلاةِ لم تُبَعَّــث رياضُــها[63]

أمَّا عمرو الأسدي، فيصوِّر النَّاقة وكأنَّها تستلب من القطا، أفاحيصها، وتخرجه منها:

بناجيــةٍ وَجْنــاءَ تَسْــتَلِبُ القطــا أفاحيصَهُ زجري إذا التَفَتَتْ حِلِــي[64]

ويثير الغنوي القطا في أماكن متغايرة أثناء رحلته:

مُعرَّقــةُ الألْحــي تَلُــوحُ مُتُونُهــا تُثيرُ القطا في مَنْقَلٍ بَعْــدَ مَقْــرَبِ[65]

والصورة مغايرة عند الأعشى، فممدوحه ملك عظيم، يحمل هموم القوم، ولا يحول الليل الموحش، بظلامه الدَّامس دون حركته وتحقيق أهدافه ومقاصده، فيكني عن حركة الرواحل بالهمِّ الذي يفزع القطا من مهاجدها في الليل، يقول:

طَويلِ نجادِ السَّــيْفِ يَبْعَــثُ هَمُّــهُ نِيامَ القطا باللَّيْلِ فى كُــلِّ مَهْجَــدِ[66]

ويبدو الأمر وكأنَّ الشعراء يعمدون إلى إثارة القطا، أو أنَّ القطا غطَّى وجه الصحراء، حتى صادفه الشاعر أينما اتَّجه.

4-1 ملازمة الماء:

ولا يعدم الشعراء وسائل أخرى للتعبير عن الشجاعة، والجرأة فــي اقتحــام المجاهيل، فتراهم يخترقون المفازات الشاسعة للوصول إلى مواقع المياه، وعند الماء يظهر القطا، وربَّما اتَّخذوا من ذكرهم القطا دلالة على أنَّ الماء مهجور، أو أنَّه في مكانٍ موحش، لا يجسر على وصوله أحد، فألفته الطيور، ولم يجد الأعشى عليه غير القطا والحمام:

وَماءٍ صَرٍ لَمْ أَلْقَ إلاَّ القطــا بــه وَمَشْهُورَةِ الأطواقِ وُرْقاً نُحورُهَــا[67]

وكذلك عمرو بن قميئة:

فأوْرَدْتُهُمْ مـــاءً علـــى حِـــينِ ورْدِهِ عَلَيْهِ خَلِـيطٌ مـــن قطـــاً وَحَمَـــامِ[68]

والشمَّاخ يدفعه وصل المحبوبة – أروى– لسلوك تلك الطريق والوصول إلى ذلك الماء، فلا يجد فيه سوى أسراب القطا، والذئب الذي يصوِّره بالرجل اللعين:

وَمـــاءٍ قَـــدْ وَرَدْتُ لِوَصْـــلِ أروى عليـــه الطَّيْـــرُ كـــالوَرَقِ اللُّجَـــيْنِ
ذَعَرْتُ بِـــهِ القطـــا ونَفَيْـــتُ عَنْـــهُ مَقَـــامَ الـــذِّئْبِ كالرَّجُـــلِ اللَّعِـــينِ[69]

ويرد المتنخل الماء الكثيف، ويجد القطا في جنباته أسراباً:

ومـــاءٍ قَـــدْ وَرَدْتُ، أمـــيمَ، طـــامٍ علـــى أرْجَائِـــهِ زُجُـــلُ الغطـــاطِ[70]

ويصوِّر المخبَّل السَّعدي أثر تنقير القطا في حواف الماء بنقش الكتابة:

للقاربـــاتِ مِـــنَ القطـــا نُقُـــرٌ فـــي حافتَيْـــهِ كَأَنَّهـــا الـــرَّقَمُ[71]

أمَّا قيس بن الخطيم فيجعل القطا مقيماً حول الماء، فهو من أوابده:

وماءٍ علـــى حافاتِـــهِ أُبَّـــدُ القطـــا تخالُ بِهِ دِمْـــنَ المعـــاطِنِ إثْمِـــدا[72]

ويأتي القطا من كل اتجاه – عند ابن مقبل– إلى الماء، وينقر في حافاته بعد الشرب ثمَّ يغادر:

أتاهُ قطا الأجبابِ من كُـــلِّ جانِـــبٍ فَنَقَّـــرَ فـــي أعْطانِـــهِ ثُـــمَّ طَيَّـــرا[73]

ولعلنا نجد في لوحة القطا، التي رسمها الشنفرى في لامية العـــرب دلالـــة واضحة على تعالق هذا الطائر مع حياة الجاهلي، في قوله:

وتَشْرَبُ آساري القطا الكُدْرُ بعدما ســـرتْ قُربـــاً أحْناؤُهـــا تَتَصلْصـــلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وابتدَرنا وأسْـــدَلَتْ وَشَـــمَّر منـــي فـــارطٌ مُتمهِّـــلُ
فولَّيتُ عَنْها وهِـــيَ تَكبـــو لِعقْـــرِه يباشرهُ منهـــا دُقُـــونٌ وَحَوْصَـــلُ[74]

فقد وقع اختيار الشاعر على القطا دون سائر طير وحيوان الصحراء، ليجري معه هذا السباق إلى مورد الماء، ولا يخفى مسوغ هذا الاختيار، فسرعة القطا– التي تكون على أشدها عند التوجه إلى الماء– فكرة قارة في ذهن الشاعر، ويلحظ أن الشاعر قد وظف آلية الاسترجاع– وهي من آليات السرد– في تقديم اللوحة، حيث جاء بالنتيجة النهائية للسباق؛ إذ هو في المركز الأول ثم تأتي القطا لتشرب سؤره المتبقي، وبعد هذه النهاية –المقدمة– يعود لبداية القص السردي، عندما رأى القطا تعتزم الورود، فعزم وعزمت، ثم ترخي جناحيها إيذاناً بالهبوط في حين يديم

هو العزم وشد الهمة حتى سبقها إلى الماء، ويتابع تصويره- بشكلٍ درامي- لعملية شرب القطاة، ثم كَيْفِيَّة تجمع القطا حول الماء من كل اتجاه، ولا يغيب عن بال الشاعر أن يقرن هذه الصورة بصورة القبائل التي تهوي إلى الماء من كلِّ اتجاه [75] .

ومع الاختلاف البسيط في البنية الشكلية للشواهد السابقة، فإنَّ ما يمكث في الذاكرة، ما تشكَّل من بنية معنوية، قوامها العلاقة القوية بين هذا الطائر والماء من جهة، ثمَّ الشراكة بين الإنسان والقطا في بحثهما عن مصدر الماء، النادر الوجود في تلك الصحراء.

2- الصورة التشبيهية للقطا:

شكَّلت صورة القطا ظاهرة في الشعر الجاهلي لا تقل بروزاً عنه في حياة العرب اليومية، وربما كان التشبيه أكثر أنماط هذه الصورة توظيفاً في أشعارهم، ولذا وصفه نقَّادهم بأنَّه "بحر البلاغة، وأبو عذرتها وسرّها ولبابها وإنسان مقلتها"[76]، وأنَّ من قال: "هو أكثر كلامهم لم يبعد"[77]، كما أنَّهم "لمسوا فيه القدرة على توفير الومضة الجمالية السريعة التي أحبُّوها"[78]، وربَّما كان "النمط الأساسي من أنماط الصورة البلاغية العربية حتى الآن، كما أنَّ المشابهة تُعدُّ من أهم العلاقات المجازية بين ألفاظ اللغة وتراكيبها"[79].

وقد توافرت لطائر القطا وجوه عدّة من السِّمات؛ مكَّنت الشاعر الجاهلي من توظيفها في الصورة التشبيهية، فيأتي القطا أو بعض شياته مشبَّهاً به، يعكس رؤية الشاعر في المشبَّه، ولمَّا تعدَّدت جوانب التشبيه ووجوه الشبه، فقد تنوَّعت الصور عند الشعراء، وحيث توحَّد المشبه به أو كاد، فقد ارتأى الباحث أن يقدِّم الصور معنونة بالمشبَّه، وأهمّها:

2-1 الخيل:

شكَّلت الخيل لوحة بارزة في الشعر الجاهلي، كما لقيت عناية فائقة الاهتمام،حتى أنَّ بعضهم قدَّمها على زوجته[80]، وثمَّة حالة من التوحُّد بين الشاعر وفرسه أو مهره، فعبَّر الشاعر عمَّا يجول في خاطر المهر من مشاعر وأحاسيس[81]، وقد حاول الشعراء جاهدين، تصوير خيولهم في شتَّى أحوالها.

ولعلَّ من أبرز الصور التي قرن فيها الشاعر فرسه بالقطا، تلك التي يعبِّر فيها عن سرعة الفرس[82]، فالقطاة تمتلك جناحين يوفِّران لها سرعة تشابه سرعة الضوء، حتى وصفهما حميد بن ثور بالملمعين في قول:

لها ملمعان إذا أوغفا يحثان جؤجؤها بالوحي[83]

وربَّما كان من أكثر الصور تردُّداً في تشبيه سرعة الخيل بالقطا، تلك التي يجعلون فيها القطا يطلب الماء وارداً، وقد مرَّ في المحور السابق حاجة القطا للماء.

وحرص الشاعر على توفير ظروف ضاغطة، تدفع القطا لزيادة سرعتها إلى الماء، فعباس ابن مرداس يجعل الورود حين ارتفاع الشمس ساعة الضُّحى:

سَمَوْنا لَهُمْ وِرْدَ القطا زَفَّهُ ضُحىً وَكُلٌ نراهُ عَنْ أخيهِ قد أحْجَما[84]

ولكنَّ بنت الشمردل تجعل القطا أشد طلباً للماء، إذ يكون الورود ساعة زوال الظل، منتصف النهار، وهذا أدعى لسرعتها، ومنها تظهر سرعة الخيل الموصوفة:

يَردُ المياه حضيرة ونفيضَةً وِرْدَ القطاة إذا اسمَألَّ التُّبَّعُ[85]

ويجعل زهير – في وصفه لسرعة فرسه- الظروف تتكالب على القطاة، فتندفع مسرعة، فقد حلأها الورد، كما أنَّها انطلقت لا تلوي على شيء، بعد أن نجت من شباك الصيَّاد التي أوقعت أختها، ثمَّ هي طريدة لصقر أسفع الخدين، فلا شيء أسرع منها، وهي طيبة النفس:

وصاحبي وَرْدَةً نهدٌ مَراكِلُها جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ
كَأنَّها من قطا الأجباب حَلَّأها وِرْدٌ وَأفْرَدَ عَنْها أخْتَها الشَّرَكُ
أهْوى لَها أسْفَعُ الخَدَّيْنِ مُطَّرِق ريشُ القوادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهُ الشَّبَكُ
لا شيءَ أسْرَعُ مِنْها وَهْيَ طَيِّبَةٌ نَفْساً بما سَوْفَ يُنْجيها وَتَتَّرِكُ[86]

وقصة مطاردة الصَّقر للقطاة تتكرَّر عند بعض الشعراء[87]، وقد تنحرف قليلاً، حيث يأتي تشبيه الجواد بالصَّقر الذي يطارد القطاة، مثلما صوَّرها المثقب العبدي في قوله:

كالأجْدَلِ الطَّالبِ رَهْوَ القَطا مستنشِطاً في العُنُقِ الأصْيَدِ[88]

وقد ينظر الشاعر من زاوية أخرى للخيل، في حالة التجمُّع والتفرُّق، فتلمع في الذاكرة صوراً لأسراب القطا تشاكلها في مرآة الطبيعة العاكسة للاعتلاج الدائم بين الواقع والخيال؛ فعندما يصف الشاعر فرسان قومه، يصيرهم مجتمعين كعصب القطا، وكأنَّ تقارب القطا في أسرابه يوحي بالقوة والطمأنينة، وإبعاد شبح الخوف والفزع عن نفس الشاعر، من ذلك قول الأفوه الأودي:

إذا عَجاجُ المَوْتِ ثارَ وَهَلْهَلَتْ فيه الجيادُ إلى الجيادِ تَسَرَّعُ
بالدَّارعينَ كَأنَّها عُصَبُ القطا الـ أسرابِ تَمْعَجُ في العجاجِ وتَمْزَعُ
كُنَّا فوارسها إذا دعا دا عي الصَّباحِ بِهِ إلَيْهِ تَفَزَّعُ[89]

فقد جعل الشاعر "قومه فرسان الخيل المسرعة للالتئام كأسراب القطا، والمجاهدة العنيفة وسط حرب ذات عجاج يشي بضراوتها"(90).

ومثل ذلك عند ابن مقروم:

ووارِدَةٍ كَأَنَّهـا عُصَـبُ القطـا تُثِيرُ عَجاجـاً بالسَّـنابِكِ أَصْـهَبا(91)

ويقابل هذه الصورة، صورة أخرى تصوِّر تسرب القطا وتفرُّقه حيث يحدث الخلل في بنية الجيش وتتشتَّت الخيل، كما في قول شاعرهم:

فَـرَدَّ عَلَـيْهِم والجيـاد كَأَنَّهـا قطاً سارِبٌ يَهْوِى هَوِىَّ المُحَجَّـلِ(92)

يفيد مفتتح البيت "فردَّ" أنَّ الفارس كرَّ ثانية؛ إمَّا بعد انهزام قومه وتفرُّق خيولهم – كأنها قطا سارب– أو أنَّه عاود الكرَّة على العدو المهزوم، وفي كلتا الحالتين: يتَّضح لنا أنَّ القطا السارب –يمثِّل الخيل المتفرِّقة، والتي أصابها الوهن والهزيمة.

وقد تكون الصورة أكثر وضوحاً عندما تكون الخيل مجتمعة كأسراب القطا، ويهاجمها الفارس، فيوقع فيها الهزيمة، فتحدث الفرقة بينها، كقول امرئ القيس:

وخيل كأسْرابِ القطا قد وَزَعْتُهـا بذي مَيْعَةٍ ثَبْتِ الفـؤادِ إذا جـرى(93)

وتردَّدت هذه الصورة في الشعر الجاهلي، كقول دريد بن الصمة:

وَخَيْلٍ كَأسرابِ القطا قدْ وَزَعْتُهـا على هَيْكَلٍ نَهْدِ الجُـزارَةِ مُرْمِـدِ(94)

وقول عَبيد بن الأبرص:

وَخَيْلٍ كأسراب القطا قد وَزَعْتُهـا بِخَيْفانةٍ تنمـي بسـاقٍ وعُرْقـوبِ(95)

وقول مجمع بن هلال:

وَخَيْلٍ كَأسرابِ القَطا قدْ وَزَعْتُهـا لهـا سَـبَلٌ فيـه المَنِيَّـةُ تَلْمَـعُ(96)

ولا بُدَّ من دلالة لتكرار الشطر الأول عند الشعراء الأربعة، فصورة الخيل المجتمعة الموحية بالمنعة والقوة، قارة في ذهن الشاعر، ومرتبطة – في الوقت ذاته– بأسراب القطا الكثيفة المتقاربة، وهي تمثِّل الهدف، الذي يحقِّق له أحقيّة الفخر والمفاخرة بكفها وتبديدها.

وثمَّة صورة أخرى –بين السابقتين– تجمع الخيل بالقطا أيضاً، ينفي فيها اجتماع الخيل، ولكنَّها تكون متتابعة في عدوها، وقد وجد الشاعر ما يقابلها في عالم القطا، حين يكون أقل كثافة، ولكنَّه يأتي متوالياً في طيرانه، سابقاً غيره إلى الماء:

يُبـــادرنَ بالفُرْسَـــانِ كُـــلَّ تَنِيَّـــةٍ جُنوحاً كَفُرَّاطِ القَطـــا المُتَسَـــرِّبِ[97]

فجاء التفرُّق أو التفرُّد هنا موحياً بالنشاط، أو المقدرة على السَّبق إلى الهدف.

ويقودنا حديث الخيل المقترن – غالباً بالحرب– إلى الصورة التشبيهية للجيش الجرار المتموج ، فيستحضر صورة القطا المتبدِّد في السَّماء إلى ذاكرة الشاعر، فيصوغها لوحة شعرية، كتلك التي يقدِّمها قيس بن الخطيم في قوله:

وَأَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ الحجازِ بِحَلْبَـــةٍ نسوقُ خميســاً كالقَطـــا المتبـــدِّدِ[98]

ويكرِّر الشاعر الصورة في موقعٍ آخر، إذْ يقول:

وَنَحْنُ حُماةُ الحَرْبِ لَيْسَتْ تضيرُنا نسوقُ خميســاً كالقطـــا المتبـــدِّدِ[99]

وجيش ابن أبي خازم كالليل يضيق به الفضاء، وهو جيش جسور يقتحم على الأعداء مياههم، فقد دفع بالشاعر إلى تصويرهم بورود القطا، ويصف هذا القطا بأنَّه ظامئٌ، بعدت عنه المياه، فذاك أدعى للسُّرعة:

وَحَوْلي مِـــنْ بنـــي أَسَـــدٍ حُلـــولٌ كَمِثْـــلِ اللَّيْـــلِ ضـــاقَ بِـــهِ الفضَـــاءُ
هُـــمُ وردوا الميـــاه علـــى تمـــيمٍ كَوِرْدِ قطاً نَـــأَتْ عَنْـــهُ الحِســـاءُ[100]

أمَّا ابن مقبل، فيسلك طريقاً آخر، يعمد فيه إلى وصف قوة الأعداء، فهي خيل تغير عليهم، كما يندفع القطا في طيرانه إلى الماء، ثمَّ تأتي المفاخرة في التصدِّي لهذه الغارة، بفرسه الشاخصة البصر:

وغارةٍ كَقَطـــا القُريـــانِ مُشْـــعِلَةٍ قدْعَتُها بِسَرندى شاخِصِ البَصَـــرِ[101]

ولعلَّ من أكثر الصور تعالقاً بين الخيل والقطا، تلك التي يصوِّر فيها ابن أبي خازم رحى المعركة الدَّائر، حيث تتشابك الأسلحة، وتعترك الخيول، فيصـــوِّرها بطيور القطا، وقد وقعت في حبائل الصيَّاد، فتشب وتنزو بكل اتجـــاه، محاولـــة الخلاص:

وَمُعْتَـــرَكٍ كَـــأَنَّ الخَيْـــلَ فيـــهِ قطا شَرَكٍ يَشِبُّ مِـــنَ النـــواحي[102]

وربَّما وصف "الشاعر الجاهلي الخيل بعد انتهاء المعركة، بالضمور والتعب، فيحتاج حينئذٍ لأن يتذكَّر القطا وهي تتَّجه نحو المورد"[103]، من ذلك قول عَبيد بن الأبرص:

يَوْمَ غادَرْنَـا عَـدِيَّاً بالقنـا الــــ ــدُّبَّل السُّمْرِ صـريعاً فـي المَجـالِ
ثُمَّ عِجْناهُنَّ خوصاً كالقطـا الــــ ــقاربِ المَنْهَلِ مِنْ أيْنِ الكَـلالِ(104)

وقد نجد صورة مغايرة لحال الخيل، ساعة خروجها من الغارة، فهـي عنـد النابغة الجعدي، ما زالت تمتلك القوة والسُّرعة، مندفعة نشيطة في جريانها:

وَجُـرْدٍ جَـوانحَ وِرْدَ القَطـا يُـوائِلْنَ مَـنْ عَنَـقٍ مُطْنِـبِ
خَـرَجْنَ شَـماطِيطَ مِـنْ غـارَةٍ بِـأَلْفٍ تَكَتَّـبُ أَوْ مِقْنَـبِ(105)

فهي خارجة من الغارة في قوَّتها ونشاطها، وإذا تفرَّقت أثناء الخروج، فإنَّها تعود وتجتمع في كتائب ومقانب.

2-2 الإبل:

ولم تكن صورة القطا بعيدة عن خيال الشاعر عند حديث الإبل في أوضاعها المختلفة، فالإبل رفيق العربي في الصحراء، فهي التي أفزعت القطا من أفاحيصه، ومنعته من موارد المياه، وقبل ذلك سابقته إليها.

ولعلَّ من أكثر الصور التي تجمع القطا بالإبل، تلك التي يصوِّر فيها الشاعر سرعة ناقته، فـ "الإبل في نجائها وقوة شدّها وسرعة انطلاقها كأسراب القطا التي هاجها العطش، فانطلقت نحو شريعة الماء قبيل الفجـر"(106). وهـذه الصـورة التشبيهية التي يشكل طرفيها الإبل والقطا، قد تأتي في ظروف متباينة، فابن حريم الهمذاني تلمع في ذاكرته هذه الصورة ساعة تذكُّر المحبوبة، وكأنَّه يستجدي لحظة الوصول:

تَذَكَّرْتُ سَـلْمى والرِّكـابُ كَأَنَّهـا قَطاً واردٌ بـين اللُّفـاظِ ولَعْلَعـا(107)

ويقدِّم سُوَيد بن أبي كاهل صورة معنوية للركاب التي ترتدي الليـل درعـاً، وتكتمل الصورة حين يصف شدّة الاندفاع بهوي القطا الكدر قاصدة الماء:

يَـدَّرِعْنَ اللَّيْـلَ يَهْـوِينَ بِنَـا كَهَوِيِّ الكُدْرِ صَـبَّحْنَ الشَّـرَعْ(108)

وإذا قرنت الخيل بالحرب، فإنَّ الإبل ارتبطت بالأسفار البعيدة عند العـرب، وفي تلك الأسفار يكون الشَّوق للأوطان على أشدّه؛ فناقة عَبِيد بن الأبرص تحنّ بالحجاز، وسط الركاب المندفعة في طريق العودة، وكأنَّ الحنين أصاب الركاب جميعها، أو هي حالة إسقاط من فكر الشاعر، فحنين القوم يتلبَّس الركاب المنهكة من السَّفر وشدّة الحرِّ في يوم قائظٍ، فتطفو على سطح الذاكرة صورة القطا المندفع إلى الماء في يوم الحرور:

وَحَنَّتْ قَلُوصي بَعْدَ وَهْنٍ وَهاجها مِنَ الشَّوْقِ يوماً بالحِجازِ وَمِيضُ
وَكُنَّ كَأَسْرابِ القطا هاجَ وِرْدَها مِنَ الصُّبحِ في يَوْمِ الحَرورِ رميضُ(109)

ويجمع ابن مقبل الركاب إلى القطا، ويتبعها الرِّيح، ويصوِّر سرعة الركاب التي يستعير لها أجنحة الطائر مبالغة في سيرها، ويسوِّغ لذلك بجعل الركاب مغبة لخمسة أيام عن الماء:

إذا ظَلَّتِ العيسُ الخوامِسُ والقَطا مَعاً في هِدالٍ يَتْبَعِ الرِّيحُ مائِلُهْ
تَوَسَّدَ أَلْحِي العيسِ أَجْنِحَةَ القَطا وما في أداوي القَوْمِ خِفٌّ صَلاصِلُهْ(110)

ويبدو أنَّ صورة ورود القطا قد لاقت استحساناً لدى الشعراء(111)، فتكرَّر تصوير اندفاع الإبل بها، كما وظّفت من قبل للخيل.

وقد نجد صورة مغايرة عند عميرة بن طارق؛ إذْ يخيَّل له أنَّ الرحل انتقل من ظهر الناقة إلى قطاة جونية، ولعلَّ ذلك تعميق أو مقاربة بين سرعة الناقة والقطاة، ثمَّ يضع القطاة في ظرف، تكون فيه أشدّ ضنكاً من حاجتها للماء، إذْ تفلت من الشباك التي نصبت لها، فتندفع بسرعة طلباً للنجاة:

فَراحَتْ كَأَنَّ الرَّحْلَ حَشَّ بِجونَةٍ بذاتِ السِّتارِ أخْطَأتْها الحَبائِلُ(112)

وممَّا أظهره التصوير التشبيهي من تعالقٍ بين الإبل والقطا؛ تشبيه مواقع ثفنات الإبل الباركة بمفاحص القطا، فناقة امرئ القيس طويلة ومهزولة من الإجهاد والتعب، ألحقه بها طول السَّفر، فلا يكاد يستبان أثر مناخها على الأرض، ومثل هذا الأثر يشاكه مفاحص القطا، وفي بوتقة الذاكرة، حيث المزج وإعادة الخلق وتهيئة الصورة، يجعل هذه الأفاحيص لقطاً طلب الماء ليلاً؛ لإظهار بعدها عن المورد، حتى إذا جاءته وجدت القليل المتبقّي من الماء ويجعلها أربعاً، لتقابل ثفنات الناقة الأربع:

وَرَدْتُ بِحَرْجوجٍ كَأَنَّ مُناخَها إذا نَهَلَتْ بَعْدَ الأذى والتَّمَرُّسِ
مَواقِعَ كُدْرٍ مِنْ قَطا السِّيِّ أَرْبَعٍ قَرَيْنَ سِمالاً بَعْدَ وِرْدٍ مُغَلَّسِ(113)

ولعلَّ ذكر (البكور للورد) علامة سيميائية يضعها الشاعر دلالة على ضعف أثر المفتحص في الأرض، إذْ لا تطول القطاة الإقامة في المفتحص، فتخرج منه آخر الليل طلباً للماء، ومن ثمَّ كان كأثر الناقة الهزيلة التي لا يمنحها الشاعر طول الإقامة في مبركها؛ لنشاطه ولهمَّته المندفعة، فلا يكاد يظهر لثفناتها أثرٌ، كما كان عند امرئ القيس، إذْ جاء القطا مغلس الورود، وكذلك عند المثقب العبدي:

كَأَنَّ مَواقِعَ الثَّفِناتِ مِنْها مُعَرَّسُ باكِراتِ الوِرْدِ جُونِ(114)

ومثل ذلك نجده عند بشر، حيث يأتي القطا مبكّراً في سباق إلى بقية ماء:

كـــأنَّ مواقِـــعَ الثفنـــاتِ مِنْهـــا إذا بَرَكَـــتْ وَهُـــنَّ علـــى تَجَـــافي
مُعـــرَّسُ أرْبَـــعٍ مُتقـــابلاتٍ يُبـــادِرْنَ القطـــا سَـــمَلَ النِّطـــافِ
فَـــأبْقى الأيْـــنُ والتَهْجيـــرُ مِنْهـــا شُجُوباً مَثْـــلَ أعْمِـــدَةَ الخِـــلافِ[115]

ونلحظُ في الشواهد السابقة صورة مشتركة بين الشعراء؛ من حيث عدد القطا ولربَّما حدَّد هذا عدد ثفنات الناقة، ولكنَّ ما يدعو للتسائل اللازمة بينهم "كأنَّ مواقع الثفنات" في الشطر الأول ثمَّ حالة الماء المورود، فهو سَمَل أو نطاف، وذلك أدعى للجد في تحصيله قبل غيرها من القطا، ممَّا انعكس على الأثر الذي لا يكاد يستبان في المفتحِّص وفي المقابل في مبرك الناقة التي تحمل همّ الشاعر، الذي لم يترك له الهم وعلو الهمة مجالاً للنَّوم؛ فهو والناقة في مجاهدة دائبة لتحقيق المجد الـــذي يُطلب، من ذلك قول الحادرة أيضاً:

عَرَّسْتُهُ وَوِســـادُ رأســـي ســـاعِدٌ حاظي البَضيع عروقُـــهُ لـــم تُدْســـعِ
فتـــرى بحَيْـــثُ تَوَكَّـــأتْ ثِفِناتُهـــا أثراً كَمُقْتَحَصِ القَطـــا لِلْمَضْـــجَعِ[116]

أمَّا ابن مقبل فيجعل عدد القطا خمساً، ليزيد من نقاط تماس الناقة مع الأرض عند البروك، فقد وصف الشعراء أثر قوائم الناقة الأربع، ويضيف هو أثر الزور، والذي يسمى في الإبل الكركرة، والذي خصَّت به الإبل دون سائر الحيوان، يقول:

كَأنَّ مَواضِعَ وَصْلَيْها إذا بَرَكَـــتْ وَقْدْ تَطـــابَقَ مِنْهـــا الـــزَّوْرُ بـــالثَّفَنِ
مبيتُ خَمْسٍ مِنَ الكُدْرِيِّ في جَـــدَدٍ يَقْحَصْنَ عَنْهُنَّ باللبَّاتِ والجُـــرُنِ[117]

ويضاعف ابن الحُداديَّة عدد القطا، إذ الوصف عنده لناقتين لا لواحدة:

كَأنَّ مَبيتاً مِنْ ثُمانٍ مِنَ القَطـــا مَناخُهُما يَنْفي الحَصَا كَلْكَلاهما[118]

أمَّا عند حسَّان بن ثابت، فتأتي الصورة على عجل، فلا يذكر الثفنات أو الأثر، ويتجاوز عن ذكر عدد القطا، ثمَّ هو يخلط بين نوعين من القطا؛ الجوني والكدري:

وَمَناخُهـــا فـــي كُـــلِّ مَنْزِلـــةٍ كَمَبيـــتِ جَـــوْنِيِّ القَطـــا الكُـــدرِ[119]

وممَّا شبه بمفتحص القطاة، ذلك الأثر الذي يتركه احتكاك قدم الراكب بجنب الناقة، إذا تساقط عنه الوبر، يقول بشر بن أبي خازم:

وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي لـــدى غَرْزِهـــا نَسيفاً كَأفْحوصِ القطـــاةِ المُـــثلَّمِ[120]

والأفحوص المثلَّم عند بشر يتحوَّل إلى مُطرَّقٍ عند المثقب العبدي في قوله:

وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلى إلى جَنْبِ غَرْزِها   نَسيفاً كَأُفْحوصِ القطاةِ المُطَــرَّقِ[121]

ويرى الباحث أنَّ هذا التصوير لم يأت عبثاً؛ وإنَّما هو إشارة لمجاهدة الشاعر لراحلته لتجد في المسير، حيث يديم حركة رجله في جنبها حثًّا لها على السرعة.

وربَّما نقع على ظرافة التصوير عند بشر في تشبيهه ما أصاب رأسه من صلع بأفحوص القطاة، يقول:

رَأَتْنِي كَأُفحوصِ القطــاةِ ذؤابتــي   وَما مَسَّها مِــنْ مُــنْعِمٍ يَسْــتَثِيبُها[122]

فقد وظَّف الشاعر جمالية التصوير لنفي ما اعتقدته المحبوبة من إهانة لحقت به، أو ضعف أوقعه في الأسر تحت رحمة العدو، الذي أنعم عليه، بإطلاق سراحه وَجَزِّ ذوائبته كما كانوا يفعلون في الجاهلية.

3-2 المحبوبة:

وصفت القطاة بأنَّها "مليحة المشي، مقاربة الخطو، وقد توصف مشية المرأة، بمشي القطاة"[123]، وربَّما خصُّوا بذلك المرأة السمينة، غير الخرَّاجة أو الطوَّافة، إذْ تمشي بدلٍ وقرمطة كمشية القطاة[124]، وقد تكرَّرت الصورة عند عدد من الشعراء، ومنهم سحيم في قوله:

وماشِــيَةٍ مَشْــيَ القَطــاةِ تبعتُهــا   مِنَ السِّتْرِ نَخْشى أهْلَها أنْ تَكَلَّمــا[125]

وقريب من ذلك قول المنخّل اليشكري:

الكاعِـــــبُ الحَسْـــــنَاءُ تَـــــرْ   فُــلُ فــي الــدِّمَقْسِ وفــي الحَريــرِ
فَـــــــــدَفَعْتُها فَتَـــــــــدافَعَتْ   مَشْــيَ القطــاةِ إلــى الغَــديرِ[126]

وقد نجد في الشِّعر الجاهلي ما يغاير ما ذهب إليه الجاحظ فــي أنَّ العــرب خصَّت مشية المرأة السمينة بمشية القطاة – في مقولته السابقة- وذلك في قــول الأعشى:

نِيافٌ كَغُصْنِ البَانِ تَرْتَجُّ إذْ مَشَــتْ   دَبِيبَ قَطا البَطْحاءِ في كُلِّ مَنْهَــلِ[127]

فصورة المرأة هنا، الطويلة الممشوقة، وليست السمينة، ولذلك شبَّهها بغصن البان، في الاستقامة واللِّين، أمَّا الارتجاج، فهو بسبب النعومة واللِّين والــدلِّ لا البدانة، ولذا نتبيَّن أنَّ الصورة التي يقدِّمها الشعراء ، ليست المشابهة الحسيّة في البدن؛ وإنَّما هي مشابهة معنوية في الترفُّق والتَّثنِّي في المسير، كما أنَّ الــدبيب يعني المشي الضعيف ، والسياق هنا يدلُّ على تقارب الخطوات في نعومة وغنج، لا لضعفٍ أو مرضٍ أو كِبَر سن.

فوجه الشَّبه هنا الدلّ وتقارب الخطو، وهو المشي الكثيف عند الحطيئة:

حصانٌ لها في البيتِ زيٌّ وَبَهْجَــةٌ وَمَشْيٌ كَمَا تَمْشِي القطاةُ كثيــفُ[128]

أمَّا هند وصويحباتها فيمشين على مهل كما القطا أو هنَّ أبطأ منه:

أَتَتْ بَيْنَ أترابٍ تمايَسُ إذْ مَشَــتْ دَبيبَ القطا أو هُنَّ مِنْهُنَّ أقطــفُ[129]

4-2 التشبيهات المتفرِّقة:

وثمَّة تشبيهات أخرى متفرِّقة، قد يجمعها إطار عام، ضمن ما يمكن تســميته بأغراض الشعر، فقد جاءت هذه التشبيهات في مجال الوصف، ولكنَّها تصب في غرض أخر يرمي إليه الشاعر، وهو الفخر، فعندما يفخر زهير بن أبي سلمى في قصيدة مطلعها:

لَقَدْ لَحِقْتُ بأولى الخَيْــلِ تَحْمِلُنــي لَمَّــا تــذاءَبَ لِلْمَشــبُوبَةِ الفَــزَعُ[130]

فإنَّه يفخر بفرسه التي ألحقته بأولى الخيل، وجعلته يتقدَّم، ومن ثمَّ يحقّق الفخر لنفسه؛ لأنَّ الفرس لا تعدو أن تكون جزءاً من كيانه، وبعد تتبُّع أبيات القصــيدة، يتكشَّف الانسياح، أو ما أسموه بالاستطراد في حديث المشبَّه به والذي جاء هنــا طائر القطا، تبدأ الصورة بقوله "كأنَّها من قطا المران"، ولكن داخل هذا التشــبيه الاستطرادي، يتحوَّل المشبَّه به إلى مشبَّه؛ وهنا نلحظ المغايرة للتشبيهات السابقة؛ حيث تصبح القطاة هنا مشبهاً فيجلب له مشبهاً به آخر؛ لتعميق الصورة الدلالية من خلال وجه الشبه – سرعة الطرف– في قوله:

أهوى لَها، فانْتَحَتْ، كالطَّرْفِ جانِحَةٌ ثُمَّ اسْتَمَرَّ عَلَيْها وَهْــوَ مُخْتَضِــعُ[131]

فالضمير المستتر في "انتحت" يعود على القطاة، أي أنَّ الشاعر شبَّه القطاة في سرعتها بطرف العين.

وفي السياق الاستطرادي من القصيدة نفسها نقع على صورة أخرى، يشــبِّه الشاعر فيها القطاة، بالدلو المملوءة ماءً. ويخصّها بالدلو الطويلة، لتهوي بسرعة أكبر ، ومن ثمَّ ينعكس ذلك على سرعة القطاة المشبَّه بهذا الدلو، والمشبّه به لفرس الشاعر، يقول زهير:

جُونِيَّــةٌ كَفَــرِيِّ السَّــلْمِ واثِقَــةٌ نفساً بِما سَــوْفَ تولِيــهِ وتَنْــدِعُ[132]

وفي قصيدة أخرى عند الشاعر نفسه يشبِّه القطاة بحصاة القسم؛ هي حصــاة مجتمعة ملساء، يقول:

جُونِيَّةٌ، كَحَصاةِ القَسْــمِ مَرْتَعُهــا بالسِّيِّ ما تُنْبِتُ القَفْعاءُ والْحَسَــكُ[133]

وتشبيه القطاة بتلك الحصاة، يفرض على الشاعر توفير الظروف المناسبة لها، حتى تشاكل الحصاة بالشدة والاجتماع، ولذا وصف مرتعها بالخصيب ينبت أحرار البقل وحبوبها.

وفي القصيدة نفسها نقع على صورة أخرى، يشبِّه فيها القطاة الفارة من مخالب الصَّقر، مستغيثة بماء الوادي المكلَّل بالأعشاب، بصغير البقرة الذي يختلس حليب أمه في غفلة من عيون الرَّاعي، يقول زهير:

حَتَّى اسْتَغاثَتْ بماءٍ لا رِشاءَ لَهُ ... مِنَ الأَباطِحِ في حافاتِهِ البُرَكُ
مُكَلَّلٍ بأُصولِ النَّبْتِ تَنْسُجُهُ ... ريحٌ خريقٌ لِضاحي مائِهِ حُبُكُ
كما استغاثَ بِسَيءٍ فَزُّ غَيْطَلَةٍ ... خافَ العُيونَ فَلَمْ يُنْظَرْ بِهِ الحَشَكُ(134)

وهنالك تشبيهات أخرى، وظَّف فيها الشعراء بعض أعضاء القطاة؛ من ذلك ما جاء في قصيدة للشنفرى يفخر فيها بقتله أحد أعدائه الأبطال، وأنَّه حقَّق ذلك بسهم أزرق، ليس فيه انكسار أو اعوجاج، أمَّا فَوْقُه فيشبِّهه بساق القطاة الكامل الاستدارة، يقول:

وَمُسْتَبْسِلٍ ضافي القَميصِ ضَمَمْتُهُ ... بِأَزْرَقَ لا نِكْسٍ وَلا مُتَعَوَّجِ
عَلَيْهِ نِيساريٌّ علَى خوطِ نَبْعَةٍ ... وَفوقٍ كَعُرْقوبِ القطاةِ مُدَحْرَجِ(135)

ويفاخر الطفيل الغنوي برجال قومه، وبالقسي الماسخية التي رموا عنها، وأطرها تشبه بعراقيب القطا، يقول:

رَمَتْ عَنْ قِسِيِّ الماسِخِيِّ رِجالُنا ... بأَجْوَدَ ما يُبْتاعُ مِنْ نَبْلِ يَثْرِبِ
كأَنَّ عراقِيبَ القَطا أُطُرٌ لَها ... حَديثٌ نواحِيها بوَقْعٍ وَصُلَّبِ(136)

وهنالك مجال آخر فاخر به الشعراء وهو الكرم، ولعلَّ من أبرز هؤلاء الشعراء الذين عُرفوا بالكرم والتغنِّي به حاتم الطائي، يفاخر في إحدى قصائده بقدوره الحاسرة ، فهي للضَّيف والجار، يحرِّك الطابخ فيها اللحم المقطَّع قطعاً صغيرة ليُحسن نضجها، فيقول:

شآمِيَّةٌ لَمْ يُتَّخَذْ لَهُ حاسِرُ ... الطَّبيخِ ولا ذَمُّ الخليطِ المُجاوِرِ
يَقْمِصُ دِهْداقَ البَضيعِ كَأَنَّهُ ... رُؤوسُ القطا الكُدْرِ الدِّقاقِ الحَناجِرِ(137)

فيقدِّم الشاعر صورة جميلة لهذا اللحم المبضَّع في القدور، إذْ يشبِّهه برؤوس القطا. ويخصّ منها الكدر، وهي أصغر رأساً من الجون، وأدقُّ حناجر.

وننهي الدراسة بإحدى الصور النادرة، يصوِّر فيها الشاعر بيض القطا بالقوارير الزجاجية، المملوءة زيتاً، وهي محكمة بلا أغطية:

نَهجٍ تَرى حَوْلَهُ بيضَ القَطا قُبَصاً كَأَنَّـــــهُ بالأفــــاحيصِ الحواجيـــــلُ
حواجــلٌ مُلِئَــتْ زَيْتَــاً مُجَـــرَّدَةً لَيْسَتْ عَلَيْهِنَّ مِنْ خوصٍ سواجيلُ[138]

الخاتمة:

تناولت الدراسة موضوع القطا في الشعر الجاهلي، وجاءت الدراســة فـــي محورين؛ بيَّن المحور الأول مدى الحضور الذي أظهره الشعر للقطا في حيــاة العرب، فلا يكاد ينافسه فيه طير آخر، من حيث التكرار والتنوع؛ فقد وقفوا عند أفاحيص القطا وبيوضه وفراخه، ثم التقوا القطا عند مـــوارد الميـــاه، وأفزعتـــه رواحلهم من مجاثمه ساعة الظهيرة، وفي غياهب الليل.

أما المحور الثاني: فقد أظهر توظيف القطا في تشــكيل الصُّــوَر الشــعرية المختلفة، ويأتي المسوغ لذلك من تباين أوجه الشبه المتعددة؛ فالخيل المغيرة شبهت بعصب القطا، وخيل الأعداء المهزومة قطاً متبدد، والخيل في رحى المعركة، قطا وقع في شراك الصياد، يشب وينزو بكل اتجاه.

ثم جاءت الإبل مجدة في المسير– وقد حلَّ بها الحنين للديار– بصورة قطــاً مغلس الورد، وآثار ثفنات الرواحل تبدو أفاحيص قطاً قارب.

وعمد الشعراء إلى نوع آخر من الصور، جاءت فيه القطاة مشبهاً، فشــبهت بحصاة القسم وبالدلو المملوءة تدب في البئر، وسرعتها بطرف العين، كما شبهت بصغير البقرة يختلس الرضاعة من أمه خِفية.

ولم تغب صورة القطا عن حديث المحبوبة، إذ تمشي بدلٍ وقرمطة، متقاربة الخطو كما القطاة في مشيتها.

وأظهرت الدراسة أنه لم يُؤت بصورة القطا فقط لإحداث الجمالية، أو رغبة في تخليد ذلك الطائر في أشعارهم، وإنَّما كان تعالقاً مع الفكر القارِّ في ذهن الجاهلي؛ لإظهار عناصر الفتوة التي يفاخر فيها العربي، كسرعة الخيل؛ معبرة عن جسارة الفارس في الحرب، والشجاعة المتمثلة في اختراق المفازات في غياهب الليــل، والصبر على المسير في حمّارة الصيف ساعة الظهيرة، أو إظهار الكرم كما عند حاتم الطائي.

الهوامش

(1) ينظر: نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة العربية، بيروت،ط2، 1984، ص 204–207. وبهيج القنطار: الطبيعتان؛ الحية والصامتة في الشعر الجاهلي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ،ط1، 1986،ص316–321. وشاكر شادي: الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1985، ج2، ص143–165 وهذه الدراسة تتجاوز العصر الجاهلي إلى العصور التالية.

(2) محمد السليمان السديس: القطا في اللغة والشعر العربي القديم، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد12، عدد1، 1985، ص 3– 49 . عبدالقادر الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998، ص50–51، ومواقع أخرى من الكتاب. وينظر الباحث نفسه: شاعر السمو زهير بن أبي سلمى، عالم الكتب الحديث، إربد،ط1، 2001، ص170–174. سلامة عبدالله السويدي: صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، العدد13، 2001، ص151–213.

(3) النابغة الجعدي، قيس بن عبدالله بن ربيعة: الديوان، جمع وتحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص30، ضارج: مكان بعينه، الجلاب: اختلاط الأصوات.

(4) عبد الحميد المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي، منشورات نادي القصيم الأدبي، الإصدار السابع، بريدة، (1402هـ/1982م)، ص227، والبيت لعميرة بن طارق، الرمث: نوع من النبات الحامض ترغب فيه الحيوانات المجترّة، الطل: الندى أو المطر الخفيف، المطر الضرب: المطر الشديد.

(5) كعب بن زهير: شرح الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2002م، ص93، التراطن: الصوت المتداخل غير المفهوم.

(6) المصدر السابق، ص76، الطلس: فراخ القطا، وصفها بذلك لغبرة لونها وميله للسَّواد.

(7) إبراهيم النعانعة: شعر غطيف في الجاهلية وصدر الإسلام، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م، ص405 ، المقصود بكدري الفراخ، فراخ الكدري، وهذا القلب مستخدم في لغة العرب، المهراق: الكتاب.

(8) ابن مقبل، تميم بن أبيّ: الديوان، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1962م، ص319، المرت: الأرض لا نبات فيها، عساقيل السراب: قطعة، ومفرده عسقول.

(9) يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، ط1، (د.ت)، ص44، والشعر للشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي.

(10) في بيتي كعب بن زهير وشتيم بن خويلد السابقين.

(11) كعب بن زهير: شرح الديوان، ص76، الطلس: ذات اللون الأغبر مائل إلى السواد، الجوانح: مهدلة الجناح، الأفاني: الشجيرات الصغيرة المجتمعة.

(12) المصدر نفسه،ص77، المغر: طين أحمر يصبغ به، الشعف: من كل شيء أعلاه، والبارز النافر من أصول الريش أول نبته، سبدت: نبتت .

(13) المصدر نفسه، ص93-94.

(14) الحطيئة، جرول بن أوس: الديوان، برواية ابن السكيت (246هـ/860م)، دراسة مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ص162.

(15) زهير بن أبي سلمى: شعره، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م، ص285.

(16) المصدر السابق، ص295، المُحصن: الذي اختلط ترابه بروث الحيوان، فأصبح دمنة.

(17) حميد بن ثور الهلالي: الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص52؛ وحميد شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، (ت365هـ/985م)، شرح سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ج4، ص350.

(18) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، (ت276هـ/899م): الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م، ص247، النور: الزهر، الحنوة: نبت سهلي طيِّب الرِّيح يُقال إنَّه الريحان، الجيد: العنق.

(19) القلقشندي، أبو العبَّاس، أحمد بن علي، (ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصوَّرة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ج2، ص73.

(20) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت255هـ/869م): الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1997م، ج5، ص346.

(21) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت518هـ/1124م): مجمع الأمثال، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م، ج2، ص247-248.

(22) خفاف بن ندبة السلمي: شعره، جمع وتحقيق: نوري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1967م، ص41، المعبَّد: الطريق المذلَّل الممهَّد، النواعج: الإبل البيضاء، الرِّمة: التالفة، الصليب: ودك العظام، وهو تقاطعها أو تداخلها للهزل الذي يصيب الإبل.

(23) شاكر شكري شكر: الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م، ج3، ص144.

(24) أحمد موسى الجاسم: شعر بني أسد في الجاهلية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1995م، ص134، الناجية السريعة التي تنجي راكبها، الوجناء: تامّة الخلق، ذات الوجنة الضخمة.

(25) امرؤ القيس بن حجر: الديوان، بشرح أبي سعيد السكري، (ت275هـ/818م)، دراسة وتحقيق: محمَّد الشوابكة، و أنور أبو سويلم، دار عمَّار، عمان، ط1، 1998م، المجلد الثاني، ص760.

(26) الميداني: مجمع الأمثال، ج3، ص525.

(27) الخرنق بنت بدر هفان: الديوان برواية أبي عمرو بن العلاء (ت154هـ/770م)، شرح وتحقيق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م، ص52، وتشير الخرنق في هذه الأبيات لقول حذام بنت الريان: "ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلاً لناما"، ينظر الميداني:

مجمع الأمثال، ج3، ص782، ويذكر قصة هذا البيت، وفي ج2، ص500 ينسب البيت للجيم بن صعب وحذام هذه زوجه.

(28) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: الديوان، شرح وتقديم حنا نصر حتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999م، ص295، وينظر، ص158، 283.

(29) عبد الحميد المعيني: شعر بني تميم، ص116.

(30) عبيد بن الأبرص: الديوان، شرح أشرف أحمد عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص81.

(31) الحادرة، قطبة بن أوس: الديوان، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص20؛ ومعجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ج3، ص106.

(32) قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط2، 1962م، ص67، الحوذان: نبت يرتفع طول الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة ورقتها مدورة، ينظر اللسان (حوذ).

(33) إبراهيم النعانعة: شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام، ص363، قطيات: هضاب، كبشة: قنة بجبل الريان، غول وقادم: واديان.

(34) امرؤ القيس: الديوان، المجلد الثاني، ص461، اللوى: مسترق الرمل، انتحى: اعتمد، أريض: بلد بعينه.

(35) الجاحظ: الحيوان، ج4، ص348.

(36) الميداني: مجمع الأمثال، ج2، ص247؛ وينظر أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت395هـ/1044م): جمهرة الأمثال، تحقيق: محمَّد أبو الفضل وعبدالمجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط2، 1964م، ج1، ص584.

(37) الميداني: مجمع الأمثال، ج3، ص397.

(38) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت711هـ/1411م): لسان العرب، قدَّم له عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، 1988م، مادة (عرم)، والبيت لأبي وجزة السعدي.

(39) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية: الديوان، جمع وتحقيق: محمَّد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط1، 1967م، ص62.

(40) كعب بن زهير: شرح الديوان، ص196.

(41) الميداني: مجمع الأمثال، ج3، ص510.

(42) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2، ص74.

(43) نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1984م، ص206.

(44) النابغة الجعدي: الديوان، ص25، الخرق: القفر تتخرق فيه الرِّياح، المروراة: الصحراء الجرداء لا شيء فيها، الهوجاء: الناقة المسرعة، النجاء: السرعة.

(45) المفضل الضبي، محمَّد بن يعلي (ت168هـ/784م): المفضليات، تحقيق: قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، 2004م، ص148، والبيت لعميرة بن جعل التغلبي، ونسبه لويس شيخو اليسوعي في (شعراء النصرانية)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926م، س196، لعمرو بن كلثوم.

(46) امرؤ القيس: الديوان، المجلد الثاني، ص426، سافه: شمه، العوْد: الجمل المسنّ، الديافي: نسبة إلى قرية دياف في الشام، جرجرا: رغا.

(47) ابن منظور: لسان العرب، مادة (مرا).

(48) عبد المنعم الزبيدي: مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، ص267.

(49) ينظر حميد بن ثور الهلالي، في قوله "... ولا مثل ما فعلت في الهدى".

(50) عبد القادر الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998م، ص16.

(51) امرؤ القيس: الديوان، المجلد الأول، ص245، 249، والمجلد الثاني، ص466.

(52) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص73.

(53) عبيد بن الأبرص: الديوان، ص40، والغطاط: ضرب من القطا؛ ينظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص73، ومثله عند امرئ القيس، الديوان، المجلد الثاني، ص192.

(54) لبيد بن ربيعة: شرح الديوان، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م، ص183.

(55) أنور أبو سويلم: الإبل في الشعر الجاهلي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م، ص68.

(56) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، ص28.

(57) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت456هـ/1063م): العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م، ج1، ص151.

(58) نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص206.

(59) لبيد بن ربيعة: الديوان، ص234.

(60) الأعشى الكبير: شرح الديوان، ص100.

(61) لبيد بن ربيعة: الديوان، ص185.

(62) ابن مقبل، تميم بن أبيّ: الديوان، ص158.

(63) الشمَّاخ بن ضرار: الديوان، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القـاهرة، ط1، 1977م، ص213.

(64) موسى الجاسم: شعر بني أسد في الجاهلية، ص134.

(65) الطفيل الغنوي، طفيل بن عوف: الديوان، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صـادر، بيـروت، ط1، 1971م، ص48، معرقة الألحي: قليلة لحم الوجه، وليس على متونها لحم، فكان موضع اللحم يلوح، أراد أنَّها ملحوبة الظهر، المنقل: الطريق في الجبل، المقرب: الطريق يختصر لقربه.

(66) الأعشى الكبير: الديوان، ص131.

(67) المصدر نفسه، ص171، الماء الصري: الماء الآس.

(68) عمرو بن قميئة: الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلـد الحادي عشر، مطابع دار الكتاب العربي، 1965م، ص43.

(69) الشمَّاخ بن ضرار الذبياني: الديوان، ص321.

(70) المتنخل، مالك بن عمير: شعره، ضمن ديوان الهذليين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2003م، ص24.

(71) عبد الحميد المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي، ص122، والشعر للمخبل السعدي، الربيع بين ربيعة.

(72) قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط2، 1967م، ص220، أبد القطا: جمع آبدة، يُقال للطير المقيمة بأرض أوابد من آبد؛ أي أقام به ولم يبرحه، الدمن: ما تلبده الإبل أو الغنم من أبعارها وأبوالها في مرابضها، المعاطن: مبارك الإبل، الأثمد: الكحل.

(73) ابن مقبل: الديوان، ص132، الأجباب: مكان بعينه، الأعطان: مناخات الإبل، وينظر في مثل هـذا المعنى، كعب بن زهير: شرح الديوان، ص146.

(74) الشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي: لامية العرب، دار مكتبة الحياة، ط2، 1996، ص78.

(75) ينظر: سلامة السويدي: صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي، ص160،فقد تناولت الباحثة هذه اللوحة في دراستها.

(76) العلوي، يحيى بن حمزة اليمني (ت745هـ/1344م): الطراز "المتضمِّن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج1، ص326.

(77) المبرد، محمَّد بن يزيد(ت285هـ/898م):الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت،ج2، ص79.

(78) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري، مكتبة الكتاني، إربد، ط2، 1995م، ص42.

(79) عبد الرحمن حجازي: بلاغة التشبيه في النقد العربي القديم والحديث، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد السابع عشر، ذو القعدة 1429هـ/ نوفمبر 2008م، ج67، ص116-117.

(80) عنترة العبسي:الديوان، تحقيق ودراسة محمَّد سعيد المولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1970، ص272، في قوله:

لا تذكري مهري وما أطعمتُهُ فيكون جلدك مثل جلدِ الأجرب

إنَّ الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهي ما شئت ثمَّ تحوَّبي

(81) المصدر نفسه، ص217–218، في قوله:فازورَّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم/ والبيت الذي يليه.

(82) محمد السديس: القطا في اللغة والشعر القديم، ص 12

(83) حميد بن ثور: الديوان، ص160؛ ولسان العرب (لمع)، الملمعان: الجناحان وصفا بذلك لسرعة خفقانهما.

(84) العبَّاس بن مرداس السلمي: الديوان، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1991م، ص143.

(85) رغداء ماريني: شواعر جاهلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م، ص267، والبيت لسعدى بنت الشمردل، الحضيرة: النفر يغزى بهم، عشرة فما دون، النفيضة: الطليعة تتقدَّم الجيش، التبع: الظل، اسمئلاله: بلوغه منتصف النهار وضموره، ومثل هذه الصورة عند امرئ القيس ينظر الديوان، المجلد الثاني، ص520، 727.

(86) زهير بن أبي سلمى: شعره، ص82–83، وقد قام عبد القادر الرباعي بدراسة هذه القصة دراسة وافية في كتابه (الطير في الشعر الجاهلي، ص35–40). وكذلك سلامة السويدي: صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد13، 2001، ص155–157.

(87) ينظر النابغة الذبياني: الديوان، ص60–61؛ وكعب بن زهير: شرح الديوان، ص237–238؛ وعند زهير، ص251–252.

(88) المثقب العبدي، عائذ بن المحصن: شرح الديوان، جمع وتحقيق: حسن حمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م، ص35.

(89) الأفوه الأودي، صلاءة بن عمرو: الديوان، شرح وتحقيق: محمَّد التنوخي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص91، المزع: الشدة في السَّير، التمعج: السير الشديد والتدافع بكل اتِّجاه.

(90) عبد القادر الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، ص50.

(91) ابن مقروم الضبي، ربيعة بن مقروم: الديوان، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م، ص24.

(92) الأفوه الأودي: الديوان، ص105.

(93) امرؤ القيس: الديوان، المجلد الثاني، ص727، وزعتها: كففتها، الميعة: النشاط.

(94) دريد بن الصمة الجشمي: الديوان، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة للنشر، بيروت، 1981م، ص55، النهد: الجسيم المشرف، الجزارة: غلظ القوائم والضخامة وظهور العصب وكثرته، المرمر: الماضي على وجه مسرع.

(95) عبيد بن الأبرص: الديوان، ص34، الخيفانة: الخفيفة الضامر شبِّهت بالجرادة.

(96) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت228هـ/842م): ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت، ج1، ص297، والبيت لمجمع بن هلال شاعر جاهلي ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين.

(97) الطفيل الغنوي: الديوان، ص37، الثنية: الفسحة أو الطريق بين الجبلين، جنوحاً: مائلة بأحد جناحيها إلى الأرض، فراط القطا: المسرع المتقدِّم على السرب في طيرانه إلى الماء.

(98) قيس بن الخطيم: الديوان، ص127، حلبه: جماعة من الخيل، وقيل القوم جاؤوا للنصرة، الفضاء: المكان المبسط المفتوح، وقيل موضع بالمدينة المنورة، المتبدد: المتفرِّق في جو السماء، وقد ورد البيت والقصيدة في ديوان حسان بن ثابت، وضعه وصحَّحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981م، ص175-185، والبيت في ص177.

(99) قيس بن الخطيم: الديوان، ص217، الخميس: الجيش الجرَّار سمِّي بذلك لتشكله من خمس فرق.

(100) بشر بن أبي خازم: الديوان، قدَّم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م، ص21.

(101) ابن مقبل، تميم بن أبيّ: الديوان، ص96، القريان: مسيل الماء في الرَّوض، فدعتها: كففتها ومنعتها، السرندى: الشديد الجريء من الخيل.

(102) بشر بن أبي خازم: الديوان، ص46.

(103) عبد القادر الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، ص52.

(104) عبيد بن الأبرص: الديوان، ص54، الخوص: المضمرات، الأين: التعب.

(105) النابغة الجعدي: الديوان، ص33، الجرد: قصار الشعر من الخيل وهو دليل نجابة، جنح الجواد: إذا أسرع، العنق: ضرب من سير الخيل، المطنب: المجتهد المبالغ في عمله، الشماطيط: القطع المتفرِّقة من الخيل، تكتب: تجمع، القنب: الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين الأربعين.

(106) أنور أبو سويلم: الإبل في الشعر الجاهلي، ج1، ص202.

(107) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت216هـ/831م): الأصمعيات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، بيروت، ط5، (د.ت)؛ الأصمعية (15)، ص63، والقصيدة لمالك بن حريم الهمذاني الملقَّب بمفزع الليل؛ وينظر عبد الحليم حنفي: الشعراء الصعاليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1979م، ص336-340.

(108) سويد بن أبي كاهل اليشكري: الديوان، جمع وتحقيق شاكر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ط1، 1972م، ص27، يدرعن الليل: يدخلت فيه كما تلبس الدرع، الشرع: شريعة الماء.

(109) عبيد بن الأبرص: الديوان، ص76، الرميض: شدّة الحرارة من الرمضاء.

(110) ابن مقبل: الديوان، ص245، الخوامس: الإبل تغب عن الماء خمسة أيـام، الهـدال: الجماعـة، الصلاصل: ما بقي في قعر الإناء.

(111) ينظر النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق محمَّد أبو الفضل، دار المعـارف بمصـر، ط1، 1977م، ص98؛ والمثقب العبدي: الديوان، ص45.

(112) عبد الحميد المعيني: شعر بني تميم، ص523، والبيت لعميرة بن طارق، حشَّ: حشَّ الشيء بالشيء قوَّاه به، وحشَّ النار أي جمع لها وقوداً وحرَّكها لتستعر، والمراد هنا أن جعل الركاب على القطاة، الجونية: نوع من القطا، باطن أجنحتها سوداء، والظهر يكون أكثر غبرة من الكدري.

(113) امرؤ القيس: الديوان، المجلد الثاني، ص692–693، الحرجوج: الناقة الطويلة، وقيل المهزولـة، نهلت: عطشت، والناهل: العطشان، الأذى: التعب والجهد، السِّيُّ: اسم مكان بعينه بين ديار بني عبدالله بن كلاب وبين جشم بن بكر، ينظر معجم البلدان، ج3، ص301–302، قرين: وردت مسيل الماء في الروض، السمال: القليل من الماء المتبقِّي، الورد المغلس: طلب الماء ليلاً.

(114) المثقب العبدي: الديوان، ص61، الثفنة: ما وقع على الأرض من البعير عند البـرك كـالركبتين والفخذين.

(115) بشر بن أبي خازم الأسدي: الديوان، ص105، التجافي: التباعد، الشجوب: أعمدة البيت، الخلاف، شجر الصفصاف.

(116) الحادرة، قطبة بن أوس: الديوان، ص74.

(117) ابن مقبل، تميم بن أبيّ: الديوان، ص310، الوصلان: العجز والفخذ، الزور: الصدر ومقدِّمته تسمى الكركرة.

(118) ابن حدادية، قيس بن المنقذ: شعره، جمع وتحقيق: حاتم صالح الضامن، المورد، المجلد الثـامن، العدد الثاني، بغداد، 1979م، ص127، عرف الشاعر بابن حدادية نسبة إلى أمه. وينظـر محمـد السديس: القطا في اللغة والشعر العربي القديم، ص10.

(119) حسَّان بن ثابت: الديوان، تحقيق: سيد حنفـي حسـنين، دار المعـارف، القـاهرة، ط1، 1983م، ص188.

(120) بشر بن أبي خازم: الديوان، ص139، الغرز: ركاب الرحل يكون من جلود مخروزة، النسيف: أثر احتكاك الراكب بجنبي البعير إذا سقط وبر البعير، المثلم: الذي تهدَّمت أطرافه.

(121) المثقب العبدي: الديوان، ص98، التطريق: قرب خروج الفراخ من بيضها.

(122) بشر بن أبي خازم: الديوان، ص28، الذؤابة: مقدِّمة شعر الرأس، المنعم المستثيب: الذي ينعم على الأسير بإطلاق سراحه بعد أن يقص شعر مقدِّمة الرأس.

(123) الجاحظ: الحيوان، ج5، ص242.

(124) المصدر نفسه، ج5، ص346.

(125) عبد بني الحسحاس، سحيم: الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمي، القـاهرة، مطبعـة دار الكتـب المصرية، ط1، 1950م، ص35.

(126) أبو تمَّام: ديوان الحماسة، ص151،.

(127) الأعشى الكبير: الديوان، ص306، النياف: الطويلة الممشوقة، ترتجّ: تهتزّ.

(128) الحطيئة: الديوان، ص131، المشي الكثيف: متقارب الخطو.

(129) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، شرحه وكتب حواشيه سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2، ج22، ص245، والشعر لعبدالله بن العجلان النهدي، وهند زوجه طلَّقها، ومات أسفاً عليها عندما تزوَّجت غيره.

(130) زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص250، تذاءب: جاء من كل جانب، وأصل هذا المعنى الذئب؛ لأنَّه يأتي الإنسان من كل وجه، المشبوبة: الحرب المضطرمة، الفزع: الخوف.

(131) المصدر السابق، ص251، أهوى لها: انقض عليها، انتحت: مالت لناحية لتهرب، الجانحة: المائلة المنتحية من شدة الطيران، المختضع: أي يمد عنقه لأخذ القطاة، الطرف: البصر عامة، وإطباق جفني العين.

(132) المصدر نفسه، ص252، القرّي: من الدلاء الملأئ، السَّلم: الدلو الطويلة لها عرقوة واحدة، توليه: تصنع له، تدَّع: تدخر وتخفي.

(133) المصدر نفسه، ص82، حصاة القسم: حصاة يضعها المسافرون إذا قل الماء في القدح وصبوا عليها الماء حتى يغمرها ليقسم بينهم سوية، ولا تكون إلاَّ مجتمعة ملساء، القعفاء من أحرار البقل، الحسك: ثمر النفل، السِّيِّ: اسم موقع بعينه.

(134) المصدر السابق، ص85–86، الرشاء: حبل الدلو، البرك: طائر أبيض صغير، الخريق: الشديد من الرياح، الحبك: طرائق المياه، السيء: ما يكون في الضرع من لبن قبل نزول الدرة، الفز: ولد البقرة، الغيطلة: الشجر الملتف، وقال أبو عبيدة الغيطلة البقرة، الحشك: دفع الدرة وحفلها.

(135) الشنفرى، عمرو بن مالك: الديوان، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص40، النساري: ريش النسر، الخوط: غصن شجرة لم يحول، النبع: شجر ينبت في الجبال تؤخذ منه القسي، ولا يسمى نبعاً إلاَّ ما كان في قلة الجبل، أمَّا ما جاء في السفح فيسمى الشريان، وما ينبت في الوادي فهو الشوحط، الفوق: جزء من السهم وهو موضع الوتر منه والجمع أفواق وفوق، ولا يصلح السهم حتى يصلح فوقه فهو حينئذٍ سهم ذو فوق، أمَّا إذا كسر فهو سهم أفوق، عرقوب القطا: ساقها وهو مما يبالغ فيه بالقصر فيقال: يوم أقصر من عرقوب القطا.

(136) الطفيل الغنوي: الديوان، ص44، الماسخي: نسبة إلى ماسخ رجل من الأزد تنسب له القسيّ؛ لأنَّه أوَّل من عملها، اللسان: (مسخ).

(137) حاتم الطائي: الديوان، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1980، ص85–86، حاسر الطبيخ: كاشف قدره بلا غطاء، يقمص: يحرِّك، دهداق البضيع: اللحم المقطَّع قطعاً صغيرة، القطا الكدر: أحد أنواع القطا، هي كدر الظهر غبره، أسود باطن الجناح مصفَرِّ الحلق.

(138) المفضَّل الضبي: المفضليات، ص79، والشعر لعبدة بن الطبيب، النهج: الطريق البيِّن، الحواجيل: القوارير، السواجيل: أغطية من الخوص.

المصادر والمراجع:

(1) إبراهيم النعانعة: شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م .

(2) أحمد موسى الجاسم: شعر بني أسد في الجاهلية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1995م.

(3) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت216هـ/831م): الأصمعيات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، بيروت، ط5، (د.ت).

(4) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: الديوان، شرح وتقديم حنا نصر حتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999م.

(5) الأفوه الأودي، صلاءة بن عمرو: الديوان، شرح وتحقيق: محمَّد التنوخي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.

(6) امرؤ القيس بن حجر: الديوان، بشرح أبي سعيد السكري، (ت275هـ/818م)، دراسة وتحقيق: محمَّد الشوابكة، و أنور أبو سويلم، دار عمَّار، عمان، ط1، 1998م.

(7) أنور أبو سويلم: الإبل في الشعر الجاهلي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م.

(8) بشر بن أبي خازم: الديوان، قدَّم له وشرحه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م.

(9) بهيج القنطار: الطبيعتان؛ الحية والصامتة في الشعر الجاهلي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ،ط1، 1986.

(10) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت228هـ/842م): ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت.

(11) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت255هـ/869م): الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1997م.

(12) حاتم الطائي: الديوان، تحقيق: فوزي عطوي، دار الصعب، بيروت، ط1، 1980.

(13) الحادرة، قطبة بن أوس: الديوان، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1994.

(14) ابن حدادية، قيس بن المنقذ: شعره، جمع وتحقيق: حاتم صالح الضامن، المورد، المجلد الثامن، العدد الثاني، بغداد، 1979م.

(15) حسَّان بن ثابت: الديوان، تحقيق: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1983م.

(16) الحطيئة، جرول بن أوس: الديوان، برواية ابن السكيت (246هـ/860م)، دراسة مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م

(17) حميد بن ثور الهلالي: الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م،

(18) الخرنق بنت بدر هفان: الديوان برواية أبي عمرو بن العلاء (ت154هـ/770م)، شرح وتحقيق: يسرى عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

(19) خفاف بن ندبة السلمي: شعره، جمع وتحقيق: نوري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1967م.

(20) دريد بن الصمة الجشمي: الديوان، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة للنشر، بيروت، 1981م.

(21) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت456هـ/1063م): العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.

(22) رغداء ماريني: شواعر جاهلية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م.

(23) زهير بن أبي سلمى: شعره، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م.

(24) سويد بن أبي كاهل اليشكري: الديوان، جمع وتحقيق شاكر العاشور، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ط1، 1972م.

(25) شاكر هادي شكر: الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م.

(26) الشمَّاخ بن ضرار: الديوان، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977م.

(27) الشنفرى، ثابت بن أوس الأزدي: لامية العرب، دار مكتبة الحياة، ط2، 1996.

(28) الشنفرى، عمرو بن مالك: الديوان، جمع وتحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م.

(29) الطفيل الغنوي، طفيل بن عوف: الديوان، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1971م .

(30) العبَّاس بن مرداس السلمي: الديوان، جمع وتحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1991م.

(31) عبد بني الحسحاس، سحيم: الديوان، تحقيق: عبد العزيز الميمي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1950م.

(32) عبد الحليم حنفي: الشعراء الصعاليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1979م.

(33) عبد الحميد المعيني: شعر بني تميم في العصر الجاهلي، منشورات نادي القصيم الأدبي، الإصدار السابع، بريدة، (1402هـ/1982م).

(34) عبد القادر الرباعي: شاعر السمو زهير بن أبي سلمى، عالم الكتب الحديث، إربد،ط1، 2001 .

(35) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري، مكتبة الكتاني، إربد، ط2، 1995م.

(36) عبد القادر الرباعي: الطير في الشعر الجاهلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1998م، ص16.

(37) عبد المنعم الزبيدي: مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي.

(38) عبيد بن الأبرص: الديوان، شرح أشرف أحمد عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م.

(39) العلوي، يحيى بن حمزة اليمني (ت745هـ/1344م): الطراز "المتضمِّن لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.

(40) عمرو بن قميئة: الديوان، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي عشر، مطابع دار الكتاب العربي، 1965م.

(41) عنترة العبسي:الديوان، تحقيق ودراسة محمَّد سعيد المولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، 1970.

(42) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، شرحه وكتب حواشيه سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2.

(43) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، (ت276هـ/899م): الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م.

(44) القلقشندي، أبو العبَّاس، أحمد بن علي، (ت821هـ/1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصوَّرة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

(45) قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط2، 1962م.

(46) كعب بن زهير: شرح الديوان، صنعة أبي سعيد السكري، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2002م.

(47) لبيد بن ربيعة: شرح الديوان، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1984م.

(48) لويس شيخو اليسوعي في (شعراء النصرانية)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1926م.

(49) المبرد، محمَّد بن يزيد(ت285هـ/898م):الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت.

(50) المتنخل، مالك بن عمير: شعره، ضمن ديوان الهذليين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2003م.

(51) المثقب العبدي، عائذ بن المحصن: شرح الديوان، جمع وتحقيق: حسن حمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.

(52) المفضل الضبي، محمَّد بن يعلي (ت168هـ/784م): المفضليات، تحقيق: قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، 2004م.

(53) ابن مقبل، تميم بن أبيّ: الديوان، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1962م.

(54) ابن مقروم الضبي، ربيعة بن مقروم: الديوان، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م.

(55) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت711هـ/1411م): لسان العرب، قدَّم له عبدالله العلايلي، دار لسان العرب، بيروت، 1988م.

(56) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت518هـ/1124م): مجمع الأمثال، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.

(57) النابغة الجعدي، قيس بن عبدالله بن ربيعة: الديوان، جمع وتحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م.

(58) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية: الديوان، تحقيق محمَّد أبو الفضل، دار المعارف بمصر، ط1، 1977م.

(58) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية: الديوان، جمع وتحقيق: محمَّد الطاهر بن عاشور، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط1، 1967م.

(59) نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، مكتبة النهضة العربية، بيروت،ط2، 1984.

(60) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت395هـ/1044م): جمهرة الأمثال، تحقيق: محمَّد أبو الفضل وعبدالمجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط2، 1964م.

(61) يوسف شكري فرحات: شرح ديوان الصعاليك، دار الجيل، بيروت، ط1، (د.ت).

الدوريات:

(62) سلامة عبدالله السويدي: صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، العدد13، 2001،.

(63) عبد الرحمن حجازي: بلاغة التشبيه في النقد العربي القديم والحديث، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجلد السابع عشر، ذو القعدة 1429هـ/ نوفمبر 2008م، ج67.

(64) محمد السليمان السديس: القطا في اللغة والشعر العربي القديم، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مجلد12، عدد1، 1985.لخوص.